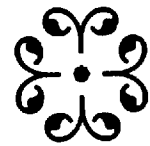

سليمان بن داود
عليه السلام

قال الحافظ ابن عساكر: هو

سليمان بن داود ـ عليهما السلام...

وقد أحَبَّهُ أَبُوهُ أشَدَّ ما يكون حُبُّ الآباء للأبناء،

ولم يكن يُطيق فِرَاقَهُ فى إقامته وسَفَرِه،

ومجالسِ حُكْمِهِ وقضائه، وكان يستشيره فى مهام الأمور،

ويعرض عليه الفصْل فى الخصومات، وكان ذا ذكاءٍ خارق،

وحكمٍ صائب، فعَهِدَ إليه أبوه بولاية عهده.

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾[1].

أى: وَرِثَهُ فى النبوة والملك، وليس المراد وَرِثَه فى المال، لأنه قد كان له بنون غيره.

وثبت فى الصحاح ـ من غير وجه ـ عن جماعة من الصحابة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نُورث، ما تركنا فهو صدقة**». وفى لفظ: «**نحن مَعَاشرَ الأنبياء لا نُورث**». فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تُورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم، بل تكون أموالهم صَدَقَةً من بعدهم على الفقراء والمحتاجين.

وقد أَعْطَى الله سليمان ـ عليه السلام ـ معجزة عظيمة خالدة، فقد عَرَّفَهُ لُغَةَ الطيور بلغاتها المتعددة، وكان يعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها.

قيل: مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة، فقال لأصحابه: «أتدرون ما يقول؟ قالوا: وما يقول يا نبى الله؟ قال: يخطبها إلى نفسه ويقول: تزوجينى أُسكنك أى غُرف دمشق شِئْتِ. قال سليمان عليه السلام: لأن غُرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد، ولكن كُل خاطب كذاب»[2].

(١) النمل: ١٦.

(٢) رواه ابن عساكر عن أبى القاسم زاهر بن طاهر عن البيهقى.

وقول الله عز وجل: ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يدل على أن الله تعالى أعطاه ما يحتاجه المُلْكُ من العُدَدِ والآلات، والجنود والجيوش، والجماعات من الجن والإنس، والطيور والوحوش، والشياطين السارحات، والعلوم والفهوم، والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات. ثم قال: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ أى: من بارئ البريَّات، وخالق الأرض والسمـوات ـ سبحانه وتعالى.

وعَلَّمه الله تعالى لُغة النمل، يقول سبحانه: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾[1].

يقول ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ فى كتاب البداية والنهاية: إن نبى الله سليمان بن داود ركبَ يومًا فى جيشه جميعه، من الجن والإنس والطير، فالجن والإنس يسيرون معه، والطير سائرة معه تُظله بأجنحتها من الحر وغيره، وعلى كُلٍّ من هذه الجيوش الثلاثة وَزَعَة، أى: نقباء يردُّون أوله على آخره، فلا يتقدم أحد عن موضعه الذى

(١) النمل: ١٧ ـ ١٩.

يسير فيه ولا يتأخر عنه، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[1] سمعها سليمان عليه السلام وعرف ما قالت، فابتسم ضاحكًا من كلامها، فَرِحًا مستبشرًا بما أطلعه الله عليه دون غيره.

وقال السُّدِّيُّ: أصاب الناسَ قَحْطٌ على عهد سليمان ـ عليه السلام ـ فأمر الناس فخرجوا، فإذا بنملة قائمة على رجلها باسطة يديها وهى تقول: «اللهم أَنَا خَلْقٌ من خلقك، ولا غناء بنا عن فضلك» قال: فَصَبَّ الله عليهم المطر[2].

قصة الهدهد وبلقيس (ملكة سبأ)

يقول الله عز وجل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا

(١) النمل: ١٨، ١٩.

(٢) البداية والنهاية (٢/ ٤٠٣).

يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[1].

من الآيات الكريمة يتبين أن سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ قد أعطاه الله لغة الطيور، وكان على كُلِّ صنف من الطيور مُقدَّمُونَ يقومون بما يَطْلُبُ منهم، ويحضرون عنده بالنوبة ـ كما هى عادة الجنود مع الملوك.

ولما تفقد سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ الطيور فلم يجد الهدهد سأل عنه، وتَوَعَّدَهُ بالعذاب أو بالذبح إذا لم يأت بحجة واضحة أو برهان ساطع، وبعد قليل جاء الهدهد إلى سليمانَ ـ عليه السلام ـ بخبر هام جدًّا، وهو أنه وجد مملكة سبأ تحكمها مَلِكَةٌ لديها عرش عظيم، ومُلك واسع، وأنهم يعبدون الشمس ولا يعبدون الله عز وجل. وكان الملك فى هذه البلاد قد آلَ فى ذلك الزمان إلى امرأة منهم ـ ابنة ملكهم، لم يخلف غيرها ـ فَمَلَّكُوها عليهم.

(١) النمل: ٢٠ ـ ٣١.

وذكر الثعلبى وغيره أن قومها مَلَّكُوا عليهم بعد أبيها رجلاً، فَعَمَّ به الفساد، فأرسلت إليه تخطبه، فتزوجها، فلما وصلتْ إليه سقته سمًّا، ثم جَزَّتْ رأسه ونصبته على بابها، فأقبل الناس عليها ومَلَّكُوها عليهم، وهى بلقيس بنت السيرح، وكان أبوها من أكابر الملوك.

حمل الهدهد رسالة سليمان إلى بلقيس، وأسقطها فى حجرها، واختفى لينظر ماذا تفعل.

أعْطَى سليمان ـ عليه السلام ـ كتابًا إلى الهدهد، وأمره بإلقائه عليهم، ثم ينظر ماذا يفعلون بعد إلقائه، ومضمون هذا الكتاب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾[1].

جمعت بلقيس قومها، وقالت لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[2] وقرأت الكتاب عليهم، وطلبتْ منهم المشورة، فَأَشاروا عليها بقولهم: نحن أُولُو قوة وأُولو بأسٍ شديد، والأمر إليك. قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[3].

(١) النمل: ٣٠، ٣١.
(٢) النمل: ٢٩.
(٣) النمل: ٣٤، ٣٥.

وأرسلت «بلقيس» هدية لسيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ لتختبره، فإن كان من طُلاَّب الدنيا قَنِعَ بها ورجع عنها، وإن رفَضَها فهو صاحبُ دعوة ومبدأ لا ينثنى عنه، ولما وصل رسول بلقيس بهديتها وقدَّمَهَا إلى سليمان رفضها وَرَدَّ عليها بقوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[1].

حينئذ هددها سليمان بأنه سيأتيهم بجيوش لا قِبَلَ لهم بها، فجاءته صاغرة مستسلمة، ولما رأتْ مُلْكَ سليمان العظيم وما سَخَّرَ الله له ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ من جِنٍّ وإنس أتوا سليمان بعرشها فى لمح البصر، أسلمتْ ودخلتْ فى دين الله، وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وذكر الثعالبى وغيره: أن سليمان تزوج من «بلقيس» وأَقَرَّهَا على مملكة اليمن، ورَدَّها إليه، وكان يزورها فى كل شهر مرة، فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط، وأمر الجانَّ فبنوا له ثلاثة قصور باليمن: غمدان، وسالحين، وبيتون، فالله أعلم.

وروى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه: أن سليمان لم يتزوجها، بل زوجها بملك همدان، وأقرها على مُلك اليمن.

(١) النمل: ٣٦.

(٢) النمل: ٤٤.

وهناك معجزة أخرى عظيمة لسيدنا سليمان، وهى تسخير الريح.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1].

قال الحسن البصرى: كان يغدو دمشق فينزل بإصطخر فيتغدى بها، ويذهب رائحًا منها فيبيت بكابل، وبين دمشق وبين إصطخر مسيرة شهر، وبين إصطخر وكابل مسيرة شهر، أى أنَّ الرياح كانت تحمله من الصباح حتى الظهر مسافة طويلة تُقَدَّرُ بمسيرة شهر، وكذلك تحمله مثلها من الظهر إلى المساء، فَيَالَقُدْرَةِ الله، سبحانه وتعالى!

وأمَّا القطْر فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة، وغير واحد: هو النُّحَاس. قال قتادة: وكانت ـ أى: العين ـ باليمن أنبعها الله له، قال السدى: أنبعها له ثلاثة أيام فقط، أَخَذَ منها جميع ما يحتاج إليه للبنايات وغيرها. وقيل: عَيْنُ القِطْرِ هذه هى التى أسَالَ الله له منها النحاس، فَنَبَعَ ذائبًا كالماء.

وكذلك سخر الله تعالى لسليمان من الجن عُمَّالاً يعملون له ما

(١) سبأ: ١٢، ١٣.

يشاء من محاريب، قيل: هى القصور، أو المساجد، أو الأماكن الحسنة، أو صدور المجالس. وتماثيل، وهى الصور المجسمة فى الجدران، وكان هذا سائغًا فى شريعتهم وملَّتهم. ﴿**وجفَانٍ كالجواب**﴾، قال ابن عباس: الجواب: جمع جابية، وهى الحوض الذى يُجبَى فيه الماء، وقيل: هى قِصاعٌ كبارٌ كالحياضِ العظامِ.

كذلك سخر الله تعالى له الشياطين، فمنهم من سَخَّرَهُ فى البناء، ومنهم من يأمره بالغَوْصِ فى الماء لاستخراج ما هنالك من الجواهر واللآلئ، وغير ذلك مما لا يوجد إلاَّ هناك.

أمَّا مَنْ عَصَى من الشياطين فكان يقيدهم فى الأغلال والقيود اثنين اثنين، وهذا كله من تمام الملك، حيث دعا سليمان ربه قائلاً: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِى لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِى إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾[1].

* * *

(١) ص: ٣٥.